

الباب الرابع

ثلاث سيوف مزدوجة الحد

تعليق المترجمين

لم تغير الحرب العالمية الثانية خارطة العالم السياسية فحسب، بل غيرت أنماط التفكير وسياقات العمل وطرق الحياة في العديد من الشعوب، خاصة الأمم التي بيدها تقنيات التغيير. نتيجة هذا التغيير الجذري في حياة هذه الشعوب تغيرت جغرافيتها البشرية أيضاً، بفروعها الاقتصادية والعمرانية والاجتماعية. لذا توجب إعادة اكتشافها من جديد. فبدأت مرحلة جديدة في العمل الجغرافي. رسم خارطة حديثة تعتمد من قبل المسؤولين لرسم سياسات التغيير والتخطيط العلمي لإستثمار الموارد الطبيعية والبشرية بالصورة التي تضمن الاستفادة القصوى منها ولأطول مدة وأقل النتائج العرضية. يعني هذا أن تجربة الحرب قد تم استيعابها، بسلبياتها وإيجابياتها، كذلك دروس وخبرة ما قبل الحرب. لقد أخذت الحرب كنقطة تحول لرسم منهج جديد للحياة بكل معطياتها وأبعادها.

خلال الحرب العالمية الثانية اشترك عدد من الجغرافيين بالآلة العسكرية وقدموا معرفتهم وخبرتهم في دراسة الأرض والانسان بمنظور شامل وبمقاييس Scsles مختلفة (العالم، القارة، الدولة، الاقليم، المدينة، الحي السكني). وقد اشترك بعضهم في الجانب الاستخباري والآخر برسم السياسات الاستراتيجية العسكرية. وكانت مساهمة البعض الآخر بالدفاع الداخلي، دراسة الامكانيات الذاتية لتوفير الطعام للمواطنين بدلاً من استيرادها. ومن المساهمات المعروفة في هذا الجانب قيام جغرافيو بريطانيا، على رأسهم ددلي ستامب، بمسح شامل لأستعمالات الأرض الذي أصبح أساساً للتخطيط الاقليمي من بعد.

وضمن الحملة الواسعة لإعادة إعمار المدن التي تضررت جراء الحرب، ونتيجة الإتجاه الجديد في التخطيط بالابتعاد عن الجانب الهندسي الصرف وتشكل فرق عمل تضم مختلف

التخصصات العلمية المعنية بالعملية التخطيطية فقد كانت مساهمة الجغرافيين في التخطيط الحضري واسعة. يعزز هذا زيادة إدراك المسؤولين، والناس أيضاً، بالبعد المكاني للمجتمع والمشاكل التي يعاني منها.

وبإعادة رسم سياسة تطوير الاقاليم المتضررة اقتصادياً جراء التبدلات التي حصلت في التقنيات الحديثة، وإعادة إدراك أهمية النقل وعلاقته باستعمالات الارض المختلفة فقد كانت مساهمة الجغرافيين بالتخطيط الإقليمي واسعة ومتميزة في ذات الوقت. في الحقيقة، إن المنظور الجغرافي الشامل للعلاقة بين الإنسان والارض والتباين المكاني للظواهر الطبيعية والبشرية وإدراك المجتمع للعلاقة بين هذه التباينات قد أعطى الجغرافيين فرصاً كبيرة للعمل في خدمة مجتمعاتهم وتخصصاتهم الدقيقة وتطوير أنفسهم وفرعهم العلمي.

نتيجة مساهمة الجغرافيين في التخطيط الحضري والإقليمي، وتخطيط النقل وتقييم توزيع الخدمات العامة بدأت نظرة جديدة للجغرافيا وفيها في عين الوقت. بدأ الاعتقاد بوجود جغرافيا تطبيقية وأخرى نظرية. جغرافيا للتدريس وأخرى للبحث والدراسة العلمية، ولسنا هنا في معرض تحديد الفرق والمقارنة. بدخول الجغرافيا بمنهجها التطبيقي الجديد الحياة العملية للمجتمع برزت مشاكل جديدة لم تكن تعاني منها سابقاً. بديهي أن لكل مرحلة، ولكل منهج، سلبيات وإيجابيات.

يعرض هذا الباب ثلاثة نقاط حرجة في المنهج التطبيقي الجديد. يوضح الفصل الرابع عشر مخاطر إنغماس بعض الجغرافيين بالعمل العسكري، ويناقش الفصل الخامس عشر دور المؤسسات المالية في تنظيم وإدارة البحوث وما تؤديه من توجيه للبحوث نحو خط بحثي معين وإهمال للمناهج و المدارس الجغرافية الأخرى. ويلخص الفصل السادس عشر سلبيات إنخراط الجغرافيين بالعمل في المكاتب الاستشارية. في هذا الباب محطات مضيئة يجب أن يعرفها كل جغرافي، سواء أكان تطبيقاً بمنهجه أم لا.

لقد بدأ الدعم المالي للبحوث الجغرافية في الولايات المتحدة عام ١٩٥٥ لدراسات ميدانية تخدم البحرية الأمريكية تبعثها زمالات دراسية لطلبة الدكتوراه لمشاريع بحثية خارج الولايات المتحدة. ووصل الرصيد المالي للبحوث الجغرافية سنوياً في أواسط الثمانينات بين (١٠-١٢) مليون دولار وهناك أكثر من مؤسسة رسمية تدعم البحوث في الولايات المتحدة، ودول العالم الغربي.

بدراسة تجربة الآخرين، وأخذ ما يناسبها، ألسنا بحاجة الى مساهمة فاعلة من الجغرافيين لإكتشاف بلدتنا؟ ألم يحن الوقت بعد لإيجاد مؤسسات دعم مالي للبحوث في أقطار وطننا العربي؟ متى يحس المواطن العربي بأهمية الجغرافيا؟ إلى متى تبقى الجغرافيا أسيرة قاعات الدرس وبحوث الجغرافيين مرصوفة عل الرفوف؟ لماذا نستشير الغرباء طالما نستطيع أن نقدم ما يقدموه، إن لم يكن أحسن وأفضل؟ لقد قالت العرب سابقاً (ما حك جلدك مثل ظفرك). نعرف الطريقة، ونعرف السلبيات، ولدينا التقنيات، ونعرف أرضنا وشعبنا جيداً، ماذا بقي ؟!!!!